الباب الثالث

نماذج من الأدب العربى بمصر فى القرن الأول الهجرى

الفصل الأولى

نماذج من الخطابات

١ . خطبة عمرو بن العاص فى جيشه

روَى هذه الخطبةَ صاحبُ أشهرِ مَشَاهِيْرِ الإسلامِ من تاريخ ابن عساكر قال: أقام المؤذّن الصلاةَ فقام عمرُو بنُ العاص على المنبر فإذا رجلٌ قَصِيْرُ القامةِ أَدْعَجَ أَبْلَجَ عليه ثيابٌ مُوْسِية كأنها العِيْقَانُ تتأَلَّقُ عليه وعليه عِمامةٌ وجُبَّةٌ، فحمد اللهَ وأثنى عليه حمدا موجزا وصلَّى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ الناسَ فأمرَهم ونهاهم وحَضَّ على الزكاةِ وصِلَةِ الرحمِ ونهى عن الفُضول وكثرةِ العِيالِ وقال فى ذلك: يا معشرَ الناس إياىَ وخلالاً أربعا فأنها تَدْعُوْ إلى النَّصَبِ بعد

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الرَّاحَةِ وإلى الضِيْقِ بعد السَعَةِ وإلى الذِلَّةِ بعد العِزّ . إياىَ وكثرةَ العيال وانْخِفاضَ الحالِ وتضيُّعِ المالِ والقِيلِ والقالَ فى غيرِ دَرْكٍ ولا نَوالٍ، ثم إنه لابد من فَراغٍ يَئُوْلُ المرءُ إليه فى تَوْدِيْعِ جسْمِه والتَّدْبِيْرِ نشأَتَه وتخلِّيَتِه بين نفسه وبين شهواتها . فمَن صار إلى ذلك فليأخُذْ بالقصدِ والنصيبِ الأقلِّ ولا يضيعُ المرءُ فى فراغِه نصيبَ نفسِه من العلم فيكونُ من الخير عاصِلا وعن حلال الله وحرامِه عادلا .

يا معشرَ الناس: قد تدلَّتْ الجَوْزاءُ وركبت الشعرى وأَقْلَعَتْ السماءُ وارتفع الوَفاءُ وطاب المَرْعَى ووضَعَتْ الحَوامِلُ ودَرَجَتْ السَّخائِلُ وعلى الراعى حُسْنُ النَّظَرِ، فحَيَّ بكم على بركة الله على رِيْفِكم فتناولوا من خيركم ولبنه ومُرافقه وصيده وأَرِيْعُوا خَيْلَكم وأَسْمِنُوْها وصونوها وأكرموها فإنها جُنَّتُكم من عدوِّكم وبها تنالون مغانمَكم وأثقالَكم .

واسْتَوْصُوْا بمَنْ جاوَرْتُم من القِبط خيرا . وإياىَ والمُوْمِساتِ المُفْسِداتِ فإنهن يُفسِدُ الدينَ ويُقصرون الهِمَمَ . حدَّثنى عمرُ أمير المؤمنين أنه سمع رسولَ الله

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله سيفتحُ عليكم بَعْدِى مصرَ فاستَوْصُوْا بقبطِها خيرا فإن لكم مِنهم صهرا وذمةً. فكَفُّوْا أيديَكم وفُروجَكم وغَضُّوا أبصاركم، فلا أُعلِنُ ما أتانى رجلٌ قد أَسْمَنَ جِسْمَه وأَهْزَلَ فرسَه، واعلموا أنى معترضُ الخيلِ كاعتِراضِ الرِّجالِ فمَن أهزل فرسَه من غيرِ علة حطَطْتُه من فريضته قدرَ ذلك.

واعلموا أنكم فى رِباطٍ إلى يوم القيامة لكثرةِ الأعداءِ حولَكم ولإشرافِ قلوبِكم وإلى داركم معدان الزرعِ والمال والخير الواسع والبركة التامة. حدّثنى عمرُ أمير المؤمنين أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا فتح اللهُ عليكم مصرَ فاتخِذوا فيها جندا كَثِيفًا فذلك الجندُ خيرُ أجنادِ الأرض. فقال له أبو بكر: ولِمَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: لأنهم فى رباطٍ إلى يوم القيامة فحمدوا ربّكم معشرَ الناس على ما أولاكم وأقِيموا فى رِيفكم ما بَدَا لكم فإذا يَبِسَ العودُ وتحقّقَ العمودُ وكثُر الذُّبَابُ وحَمُضَ اللبنُ وصُوِّحَ البقلُ وانقطعَ الوَرْدُ فحَىَّ على فُسْطَاطِكم على

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

بركةِ اللهِ، ولا بقى من أحدٍ منكم على عِيالِه إلا ومَعه تحفةٌ لِعيالِه على ما أَطَاقَ من سَعَتِه أو عُسْرَته.[١]

٢. خطبةُ قيس بن سعد لَمَّا بعثه أَمِيْرُ المؤمنين علىٌّ كرم اللهُ وجهه أميرا على مصر.

دخل قيسُ فى سبعةٍ من أصحابه فصعَد المنبَرَ فجلس عليه وأمرَ بكتاب أمير المؤمنين فقُرِئَ على أهلِ مصرَ بولايته ويأمرُ بمُبَايَعَتِه ومُسَاعَدَتِه وإعَانَتِه على الحق، ثم قامَ قيس خَطِيْبا فقال: الحمدُ للهِ الذى جاء بالحق وأماتَ الباطِلَ وكَتَبَ الظالمين. أيها الناسُ إنا قد بايعْنا خيرَ مَن نعلم نبيَّنا فقُوْموا أيها الناس فبايعوه على كتاب اللهِ وسنة رسوله، فإنَّا نحن لم نعلمْ لكم بذلك فلا بَيْعةَ لنا عليكُم. فقام الناسُ فبايعوا واستَقامتْ مصرُ.[٢]

٣. خطبة محمد بن أبى بكر لَمَّا ولاَّه على أمر مصر وعزَل به قيس بن سعد.

---

[١] ابن العساكر، أشهر مشاهر الإسلام، ج ٣، ص ٦٥٠

[٢] ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ٣، ص ٢٦٩

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ولمَّا قدِم محمدٌ بمصر قرأ كتاب عليٍّ على أهل مصر ثُمَّ قام فقال:

الحمدُ لله الذى هدانا وإياكم لما اختُلِف فيه من الحق، وبصَّرَنا وإياكم كثيرا مما كان عَمِيَ عنه الجاهِلون. ألآ إن أميرَ المؤمنين ولاَّنى أَمْرَكم وعهد إلىّ ما سَمِعْتم، وما تَوْفِيقى إلا بالله، عليه توكَّلتُ وإليه أُنيب، فإن يكنْ ما ترون من إمَارَتى وأَعْمَالِى طاعةَ الله فاحْمِدُوْا اللهَ على ما كان من ذلك فإنه هو الهَادِى له. وإنْ رأَيتُم عامِلا لى عَمَلَ بغير الحق فارْفَعُوه إلىّ وعَاتِبُونى فيه فإنى بذلك أَسْعَدُ وأنتم جَدِيْرُوْنَ، وفقنا اللهُ وإيَاكم لصالِحِ الأعمالِ برَحْمَتِه.[٣]

[٣] نفس المرجع، ص٢٧٢-٢٧٣

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الفصل الثانى

نماذج من الكتابة

١ . الكتابةُ المتبادِلةُ بين عمر بن الخطاب الخليفة وعمرو بن العاص الوالى بمصْرَ .

لَمَّا تَمَّ لعمرو بن العاص افْتِتَاحُ مصرَ وكَتَبَ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يُخْبِرُ بذلك، وكتب إليه الخليفةُ كتابا يشكُرُه فيه ويقول له: أنْ صِفْ لى حالَ مصر، فكتب عَمرُو ما نصُّه: وردَ إلىَّ كتابُ أمير المؤمنين أطال اللهُ بقاءَه يَسْأَلُنى عن مصر: اِعْلَمْ يا أميرَ المؤمنين أنَّ مصرَ قريةٌ غَبْرَاءُ، وشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ، طُولُها شهرٌ، وعَرضُها عشرٌ . يَكْتَنِفُها جَبَلٌ أغْبَرُ، ورَمْلٌ أَعْفَرُ، يَخُطُّ وَسَطَها نهرٌ مبارَكُ الغدَواتِ، مَيْمُونُ الرَوْحَاتِ، تَجْرى فيه الِوِيادَةُ والنقصانُ كجَرْىِ الشمسِ والقمرِ، له أوانٌ يَدُرُّ حِلابُه، ويكثر فيه ذُبابُهُ، تَمُدُّه عيونُ الأرض وينابِيعُها حتى إذا ما اصْلَخَمَ عُجاجُه، وتعظَّمَت أَمْوَاجُه، فاضَ على جانِبَيه فلم يمكن التخلُّصُ من القُرَى بعْضِها إلى بعضٍ إلا فى صِغارِ المراكب، وخِفافِ القوارِب، وزوارِقٌ كأنهن

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فى المَخَايِل ورَقُ الأصائِل، فإذا تكامَلَ فى زيادته نَكَصَ على عقيبه كأوّل ما بدأ فى جِرِيَته، وطما فى دُرَّته، فعند ذلك تخرج أهلُ مِلَةٍ مَحْقُوْرَةً، وذمة مَخْفُوْرَةً، يَحرثون بطونَ الأرض ويُبذرون بها الحُبَّ، يرجون بذلك النماءَ من الرب، لغيرهم ما سعوا من كَدّهم، فناله منهم بغير جَدّهم، فإذا أَحْدَقَ الزَرْعُ وأشرقَ، سقاه النَّدَى وغذاه من تحته الثَّرَى، فبينما مصرُ يا أميرَ المؤمنين لُؤْلُؤَةٌ بَيْضاءُ، إذا هى عَنْبَرَةٌ سَوْدَاءُ، فإذا هى زُمُرُدَةٌ حَضْرَاءُ، فإذا هى دِيْبَاجَةٌ رَقْشَاءُ، فتبارك اللهُ الخالقُ لما يشاءُ، الذى يُصْلِحُ هذه البلادَ ويُنمِيْها ويُقرُّ قاطنيها فيها، ألا يقبلَ قول خَسِيْسِها فى رَئِيْسِها، وألا يستأدِىَ خراجَ ثمرةٍ إلا فى أوانها، وأن يصرف ثلث ارتفاعِها، فى عمل جُسُوْرِها وتَرْعِها، فإذا تقررَ الحالُ مع العُمَّالِ على هذه الأحوال، تضاعفَ ارتفاعُ المالِ واللهُ تعالى يُوَفِّقُ فى المَبْدَإِ والمالِ.[٤]

٢. الكتابة المتبادِلة بين معاوية فى دِمْشَقَ وقيس بن سعد بمصر

---

[٤] جمال الدين الأتابكى، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣٢-٣٣

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كتابة معاوية إلى قيس لمّا خاف أمر علىّ بالعراق وأمر قيس بن سعد بمصر، وخشى أن يسير علىٌّ من العراق وقيس من مصر فيقعُ هو بينهما، وكتب إلى قيس يستميله إليه ويطمعُه: سلامٌ عليك، أما بعدُ فإنكم نقمْتم على عُثمان ضَرْبَةً بسَوْطٍ أو شَتِيْمَةَ رَجُلٍ أو تَسْيِيْرَ آخرَ واستعمالَ فتًى، وقد علمتم أن دمه لا يَحِلُّ لكم، فقد ركِبْتم عظيما وجِئْتم أمْرا إدًّا، فتُبْ إلى الله يا قيسُ، فإنك من المُجلبين على عثمان، فأما صاحبُك فإنا استيقنّا أنه الذى أغْرَى (به) الناسَ وحمَلهم حتى قتلوه، وإنه لم يسلَمْ من دمه عظمُ قومِك، فإن استطَعْتَ يا قيس أن تكون ممن يُطالِبُ بدَمِ عثمانَ فافعَلْ وتابِعْنا على أمرنا ولك سلطانُ العراقيّيْنَ إذا ظهرت ما بقيت ولمن أحببتَ من أهلك سلطان الحجاز ما دام لى سلطانٌ، وسَلْنى ما شِئتَ فإنى أُعْطِيك واكْتُبْ إلى برأيك.[٥]

---

[٥] ابن الأثير، المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٩-٢٧٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فلما جاءه الكتابُ أحبَّ أن يدافعَه ولا يُبْدِى له أمرَه ولا يتعجَّلَ إلى حربه، فكتبَه إليه: أما بعدُ، فقد فهمتُ ما ذكرتَه من قتلةِ عثمانَ فذلك شيءٌ لم أُقارِبْه، وذكرتَ أن صاحبِى هو الذى أغْرَى به حتى قتلوه، وهذا مِمَّا لم أَطَّلِعْ عليه، وذكرْتَ أن عُظْمَ عشيرتى لم تَسْلَم (من دم عثمان)، فأولُ الناس كان فيه قِياما عشيرتى، وأما ما عرضْتَه من مُتابَعتِك فهذا أمرٌ لى فيه نظرٌ وفكرةٌ، وليس هذا مما يُسرَعُ إليه، وأنا كافٍ عنك وليس يأتيك من قِبَلِى شيءٌ تكرَهُه حتى ترى ونرى إن شاء اللهُ تعالى.[٦]

فلما قرأ معاويةُ الكتابَ رآه مُقارِبا مُباعِدًا فكتب إليه: أما بعدُ، فقد قرأتُ كتابَك فلم أَرَكَ تَدْنُو فأُعِدُّكَ سلما ولا متباعدا فأعدك حربا، وليس مثلى يُصانِع المخادِعَ ويَنْخدِعُ للمكايدِ ومعه عددُ الرجال وبيده (أعنة الخيل)، والسلام.[٧]

---

[٦] نفس المرجع، ٢٧٠

[٧] نفس المكان

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فلما قرأ قيسُ كتابَه ورأى أنه لا يفيدُ المدافعةَ والمُماطَلةَ أظهرَ له ما فى نفسِه، فكتب إليه: أما بعدُ، فالعَجَبُ من اغْتِرارِك بى وطَمْعِك فىّ واستِسْقَاطِكَ إياىَ، أتسَوّمُنِى الخروجَ عن طاعة أولى الناس بالإمارة وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلا وأَقْرَبهم من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَسِيْلَةً وتأمرُنى بالدخول فى طاعتِك، طاعةِ أبعدِ الناس من هذا الأمر وأقواهم بالزُّوْرِ وأضلهم سبيلا وأبعدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلةً، ولد ضالّيْنَ مُضِلّيْنَ، طاغوتٌ من طَوَاغِيْتِ إبليسَ، أما قولُك إنى مالئٌ عليك مصرَ خَيْلا ورِجالا، فواللهِ إن لم أُشغِلْك بنفسِك حتى تكونَ أهمَّ إليك إنك لذو جِدٍّ، والسلامُ.[٨]

٣. كتابة عبد العزيز بن مروان إلى أخيه الخليفة عبد الملك:

---

[٨] نفس المرجع، ٢٧٠-٢٧١

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كتب عبدُالملك بن مَروان إلى أخيه عبدِ العزيز ولّي مصر يسألُ أن يَنزِلَ عن ولاية العهد ليعهَدَ إلى الوليد وسليمان فأبَى عبدُ العزيز وكَتَبَ إلى أخيه: إنْ يكنْ ولدٌ قلنا أولادٌ ويقْضِي اللهُ ما يشاء. وقيل كان أيضا في كتابة عبد العزيز: إنك لو رأيتَ الأصْبغَ لسَرّك ولم تُقدّم عليه أحدا، يُريدُ بالأصبغ ابنه عبدَ الله.[٩]

[٩] نفس المرجع، ص ٢٧٩

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الفصل الثالث

نماذج من الأشعار

١. المدح

قال نصيبُ بن رباح وهو يمدحُ عبدَ العزيز بن مروان بعد اتّصالِه به:

لعبد العزيزِ على قومه وغيرهم نعم غامِرَةٌ
فبابُك أليَنُ أبوابِهم ودارُك مأهولةٌ غامِرة
وكلبُك آنيسٌ بالمُعتَفين من الأم بابْنَتِها الزّائرة
وكَفُّك حين ترى السائلين أَندَى من الليلةِ الماطِرَة[١٠]

وقال في مدحِه أيضا وقد ذكر في أبياته هذه النِيْلَ:

يقول فيُحسِنُ القولَ ابنُ ليلى ويفعلُ فوق أحسن ما يقول
فتى لا يَرْزأ الخلان إلا مودتـــهم ويرزؤه الخليلُ

---

[١٠] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص٣١٩–٣٢٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فبَشِّرْ أهلَ مصر فقد أتاهم من النيل الذى فى مصر نيلُ[١١]

٢ . الرثاء

شِعْرُ نصيب يَرْثى رسولَ عبد الملك الذى مات بمصر بقريةٍ من الصعيد يُقالُ لها سُكرٌ، لطاعونٍ ينتشِرُ فى ولاية عبد العزيز بن مروان حينذاك:

أصبتَ يومَ الصعيد من سُكرٍ مُصيبةً ليس لى بها قِبَلُ

تاللهِ أنْسِى مصيبتى أبدا ما اسمعتنى حنينها الابلُ

ولا التبكى عليه أعوالُه كل المصيبات بعد جللُ

لم يعلم النعش ما عليه من العـ ـرف ولا الحاملون ما حملوا

حتى أجنوه فى ضريحهمو حين انتهى من خليله الأملُ[١٢]

٣ . الهجاء والتشاؤم

---

[١١] نفس المرجع، ص ٣٣٦-٣٣٧

[١٢] نفس المرجع، ص ٣٤٥-٣٤٧

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

قال دِرْعةُ بن سعيد الله بن أبى زَمْزَمَة الخشَنِى يَهْجو ويَتشائَمُ من عبد الله بن عبد الملك والى مصر، وقد غلبَتِ الأشعارُ بمصر يومَ وِلايتها، وهى أولُ شِدّة رآها المصريُّون:

إذا سار عبدُ الله من مصر خارِجا فلا رجعَتْ تلك البغالُ الخوارِجَ

أتى مصرَ والمِكْيالُ وافٍ مُغَرْبِلٌ فما زال حتى سار والمد فالِجُ[١٣]

٤. الفخر

قال شاعرٌ من بنى كاسِر المَدى يَفْتَخِرُ بكاسر المدى:

قَوْمِى الذين تبادَروا مَدى الخليفةِ بالحِجْر

وتَخَرَّبُوا وتعَصَّبُوا وجَثَوا عليه فانكَسَرَ

من بعد ما زالت له اعْناقٌ يعرب بل مضر[١٤]

٥. الوصف

---

[١٣] الكندى، الولاة والقضاة، ٥٩

[١٤] نفس المرجع، ص ٧٨

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

قال كريبُ بن مخلدِ الجَيْشانى يصِفُ صَنَم حمَّام زبان، وهو أَصْبَغُ بن عبد العزيز، وكان الصنمُ يُمَثِّلُ امرأةً جميلةً:

من كان فى نفسِه للبيْض منزلةٌ فالْيَأْتِ أبيَضَ فى حمّام زبان

عِبلٌ لطيفٌ هضيمُ الكشحِ مُعتَدِلٌ على ترائبه فى الصَّدْر ثديانُ[١٥]

من النماذجِ السابقةِ لخِص الباحث أن الأدبَ العربى بمصر فى القرن الأول الهجرى خطابةً كانت أم كتابةً أم شعرا لا يبعَدُ حالُه مما كان فى البلاد الأخرى الإسلامية. وذلك لأن الخُطَباءَ والكُتَّاب والشعراء هم عربىُّ الأَصْلِ، لا أحدَ من المُوَلَّدِ، وأنَّ روحَه واحِدٌ يَعْنِى الإسلامَ.

ولكن هناك فرقٌ قليلٌ من حيث الغرض، هؤلاء الخطباءُ والكتابُ يَخْطُبون ويكتبون لِتَقْوِيةِ الدولةِ الإسلاميةِ خُصُوصا بمصر، وهذا لا يُساوِى بحالِهم فى عصر الرسول، الذى غلب غَرضُ الخطابةِ والكتابةِ ليس إلا لأجلِ الدعوة

---

[١٥] نفس المرجع، ص ٧١

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الإسلامية . وهؤلاء الشُعراءُ يقرضون الشعرَ لأغراض أوسعَ مما كان فى مصر، لأنهم فيها لا يقرضون الشعرَ إلا لخمسة أغراض مثل ما قدمها الباحث هنا .

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id